

حرب باردة جديدة

بقلم: فهمي هويدي

هذه مصادفة دالة وكاشفة، ففي أسبوع واحد تقرر تجميد الخطة الإعلامية العربية التي وضعت لكشف حقيقة الممارسات الإسرائيلية أمام الرأي العام العالمي، بسبب العجز عن توفير مبلغ عشرين مليون دولار اقترحت لتمويلها، في حين اعتمدت إحدى لجان الكونجرس مبلغ 245 مليون دولار لتمويل خطة إعلامية أخرى لغسل أدمغة العرب من خلال مشروع جديد للبت التلفزيوني، والإذاعي باللغة العربية، لاحتياج المفارقة إلي تعليق، ولكنها تستدعي الانتباه إلي أفاق المواجهة التي غبنا عنها، فحضر غيرنا، وتسيدوا الموقف بغير عناء.

المخابرات الأمريكية و الحداثة



أنفقت أجهزة الاستخبارات الأمريكية خلال حقبة الحرب الباردة ملايين الدولارات على حملة دعائية سرية للتأثير على الحياة

الثقافية والفكرية دون ترك أي أثر يذكر ، وبالاعتماد على أسماء مشهورة بعيدة عن كل الشبهات ، وهي معركة خفية كشفت خباياها في كتاب جديد إسبانيا. صدر مؤخرا في واستغرقت الباحثة البريطانية فرانسيس ستونور سوندرز أكثر من البحث والتحريات انتهت سنتين من بجمع ستة صناديق من الوثائق حول بكتاب الموضوع ، وفي النهاية خرجت " سي.أي.إيه. والحرب الباردة الثقافية" ، ويكشف هذا العمل النقاب تنفيذ الاستخبارات عن كيفية الأمريكية "سي.أي.إيه." لخطتها المتمثلة في أن أفضل طريقة للدعاية هي ألا يبدو أنك تقوم بالدعاية. تقول سوندرز أن جهاز المخابرات بعد الحرب العالمية الأمريكية تحول الثانية إلى ضرب من "راعي الآداب والفنون ونصيرها على المستوى العالمي" ، ولم يتوان في تمويل عدد من المجلات والمهرجانات والمعارض بالإضافة إلى الكتب ، وكل الفنية أشكال الأنشطة الثقافية ، وفتن والمفكرين الأوربيين الكثير من الفنانين وغالبيتهم من الشخصيات اليسارية التي خاب ظنها في الاتحاد

(1)

نعاه إلينا الأهرام في 23/4، مشيرا إلي أن الخطة خبر التجميد اجتماع طارئ لوزراء الإعلام المذكورة تم الاتفاق عليها في تفجرت عقب اقتحام شارون العرب، عقد مع بدء الانتفاضة الفلسطينية، التي بنود تلتزم الدول للمسجد الأقصى في 28 سبتمبر عام 2000 ولكن لأنه لا توجد واحدة الأعضاء بسداد حصصها في الخطة، فان عملية التنفيذ لم تتقدم خطوة إلي الأمام، الأمر الذي أدى إلي توقفها وإلي استقالة الدكتور حنان عشراوي التي كان الأمين العام للجامعة العربية قد اختارها مفوضة لتحمل مسؤولية الخطة، ومما أثار الانتباه في الخبر الذي نشره الأهرام بهذا الخصوص، أنه تنفيذ إلي ان الدول العربية (التي اتفق وزراء إعلامها علي وضع الخطة) أثرت ان اشار منها منفردة من خلال سفاراتها، وقنواتها الخاصة، الأمر الذي ترتب تعمل كل الخطة الجماعية فور وضعها. الخبر الأمريكي نشر بعد ثلاثة أيام عليه إجهاض وجاء فيه ان لجنة العلاقات الدولية بالكونجرس أعدت مشروع فقط، في 27/4، دبلوماسية الرأي العام وأعتمدت له ذلك المبلغ، لكي قانون أطلق عليه برنامج ستتواصل لمدة 24 ساعة يوميا، وتغطي يمول عملية البث المقترحة التي يستهدف تقديم وجهات النظر منطقة الشرق الأوسط كلها، متبينة خطابا الولايات الأمريكية إلي المستعمرين في المنطقة، علي نحو يحسن صورة المتحدة، ويمتص مشاعر الغضب والكرهية التي تكنها شعوب المنطقة الأمريكية. ليس سرا ان هذه الخطوة اتخذت بعدما أكتشف للسياسة استطلاعات وقياسات الرأي العام التي أعقبت هجوم 11 الأمريكيون من خلال والإسلامية لها رأيها السلبي في السياسة سبتمبر أن الجماهير العربية في مراجعة سياساتها، أو لم تمكن من الأمريكية، فلم تفكر الإدارة الأمريكية دون الأسباب. ذلك لكنها عمدت فقط إلي محاولة علاج النتائج

(2)

الولايات المتحدة وإسرائيل لتجميل أن شئت فقل إنها حرب باردة جديدة تشنها الوحشية التي ترتكب علي الصورة وتسويق المقاصد والتستر علي الجرائم مخاطبة العقل الأرض، الولايات المتحدة تخوض معركتها في الشرق الأوسط مستهدفة العربي، اما إسرائيل فتخوض معركتها في الولايات المتحدة وأوروبا، محاصرة العقل العربي. في منتصف شهر فبراير الماضي ذكرت صحيفة نيويورك تايمز ان وزارة الدفاع الأمريكية انشأت مكتبا جديدا لـ التأثير الاستراتيجي قامت فكرته الأساسية علي تقديم معلومات إلي أجهزة الإعلام والرأي العام، تتضمن إخبارية زائفة للتأثير علي الرأي العام، فيما وصف بأنه حملة سوداء مواد المتعمد، الذي استهدف تسويق السياسة الأمريكية، خصوصا حملتها للتضليل أفغانستان، وهي الخطوة التي أدى انكشافها إلي إثارة ضجة عسكرية ضد الإعلامية والثقافية، انتهت بصدر تصريح رسمي علي كبيرة في الأوساط الدفاع الأمريكي، أعلن انه تقرر إغلاق ذلك لسان دونالد رامسفيلد وزير إلا أن الذين يفكرون أصلا في تخصيص المكتب. ورغم ان ذلك تم في العلن، لايتورعون عن ممارسة ذلك التضليل مكتب للتضليل الإعلامي في العلن، ربما الأمريكية إلي انشاء مكتب دون إعلان. ليست مصادفة أن تلجأ وزارة الدفاع الحرب العالمية الثانية للتأثير الاستراتيجي وان تقرر الولايات المتحدة أثناء التضليل احد عام 1941 م انشاء مكتب الخدمات الاستراتيجية الذي كان

السوفيتي .
واضافت سوندرز أن الحرب الباردة كانت حربا ثقافية.. وترى المؤلفة البريطانية من خلالها الخطوط العريضة للكيفية التي يجب أن يكون عليها الرد الحالي في حربه ضد الأمريكي أفغانستان ، مؤكدة أن هذا النزاع لن خاصة ، يحل بقوة السلاح بل بالدعاية وأن إمكانيات توجيه الإعلام والرأي العام أكبر بكثير مما كانت عليه في الماضي .
وجاءت فكرة تأليف الكتاب للكاتبة في بعد أعقاب المفاجأة التي أصيبت بها قراءتها لمقال يوحى بأن الرسام الأمريكي جاكسون بولوك (1912- الرئيس للامذهب 1956) ، الممثل التعبيري التجريدي ، كان بشكل من الأشكال على صلة بجهاز الاستخبارات الأمريكية. وتروي المؤلفة في كتابها أن سي.أي.إيه استغلت بهذا الشكل ، عن غير وعي ، مجموعة عن وعي أو من الفنانين والمفكرين في حقبة ما في بعد الحرب في وقت كان الجميع أوربا يفتقر للمال وكان العالم منقسما إلى معسكرين ، وقالت إن الولايات فخورة جدا بنجاح تلك العملية المتحدة .
وانتهت الكاتبة إلى القول: مضت عشر انتهاء الحرب الباردة ، سنوات على لكننا لم نتعلم بما فيه الكفاية ، وإنما وألحت على ضرورة نعين ذلك الآن ، استعادة الروح النقدية ، وقالت: علينا مصدر أن تتساءل على الدوام عن المعلومات التي تتلقاها والأرصدة التي تمولها .
منتجة وبدأت ستونور سوندرز وهي مستقلة للأشرطة السينمائية والوثائقية التحقيق حول ما الذي كانت المتحدة تريده من وراء الولايات علاقتها بفنانين محسوبين على المذهب التجريدي ومن أصحاب المواقف المعارضة لتسييس الفن ، وزيادة على ذلك لم يكونوا يمثلوا لا بعيد الأيديولوجية من قريب ولا من الأمريكية.
وكانت دهشة سوندرز كبيرة عندما المادة المتصلة بهذا اكتشفت وفرة الموضوع لدرجة حملتها على الاعتقاد الشاشة بأن شريطا وثائقيًا على الصغيرة ربما كان غير كاف ، وقررت في المقابل تأليف كتاب أشاد به نظرا لعمق أبحاثه. النقاد وأوضح أنها لم تواجه أي شكل من أشكال التهديد والتخويف خلال تحقيقها في هذه الأحداث ، لكنها أبرزت في المقابل أنها لقيت العون

فرانسيس أهدافه، ومن يطالع كتاب الحرب الباردة الثقافية لمؤلفه الأمريكي سوندرز) الذي ترجمه إلي العربية الاستاذ طلعت الشايب وأصدره المجلس للثقافة) يكتشف أن ذلك المكتب كان النواة التي بدأت بها المخابرات الأعلى ويدهش للكيفية التي مورست بها تلك الحرب في مجالات الإعلام المركزية، واستخدمت لاجلها أسماء كبيرة وإصدارات محترمة، والفنون والآداب، حياتنا العقلية والثقافية. لم تكن الولايات ومؤسسات قامت بأدوار مهمة في والأنظمة، لكنها عنيت في وقت مبكر بمخاطبة المتحدة بمخاطبة الحكومات كانت العملية تتم من خلال وإجهات لاتثير المجتمعات والرأي العام، في السابق والمدارة، ربما لانها كانت تواجه في الشك، وبأسلوب لا يخلو من الاحتيال السوفيتي، مما اقتضى ممارسة درجة من الملعب ذاته ندا قويا مثل الاتحاد العملية تتم بقدر أكبر من الجرأة والوجه الاحتياط والحذر. لكننا نلاحظ الآن ان توزع علي الشخصيات العامة - في المكشوف. فالسفارات الأمريكية هي التي سياسة الحكومة مكاتبهم وبيوتهم - المطبوعات والأشرطة التي تسوغ التربية الوطنية الأمريكية، وفوجئنا بالسفيرة الأمريكية في الرباط تطلب من وزير بمختلف في حكومة المغرب أن يرتب لها لقاءات مباشرة مع طلاب البكالوريا المدارس، لكي تشرح لهم سياسة بلادها، بعدما بينت الاستطلاعات أن درجة كراهية أمريكا عالية بين الشباب المغربي، كما فوجئنا بالسفير الأمريكي في وهو يطلب من أعضاء نوادي الروتاري هناك أن يقفوا دقيقة حدادا علي البحريين إسرائيل، كما وقف المشاركون العرب حدادا علي الضحايا الضحايا اليهود في فحسب، وإنما فوجئنا بالإدارة الأمريكية في شهر فلسطينيين! ليس ذلك الاعلام العربي أن تكف عن مهاجمة مارس الماضي، وهي تطلب من أجهزة للسامية) بطبيعة الحال لم تكلف إسرائيل، بزعم أن ذلك يوجب مشاعر العداء للقيادات الإعلامية الأمريكية لكي الادارة الأمريكية خاطرها وتوجه الطلب ذاته الجرأة ذهبت إلي ما هو أبعد، تكف عن التشهير بالعرب والإسلام والمسلمين). مجتمعاتنا فحسب، وإنما أرادوا فهم لم يكتفوا بمحاولة اختراق عقولنا ومدارك لغتهم، ونكره ما يكرهون، فهم تطويع ألسنتنا أيضا، بحيث يفرض علينا أن نتكلم بالارهابيين أو الانتحاريين يصرون علي ان نصف أبطال العمليات الاستشادية حقنهم وأعصابهم، علي أحسن الفروض، أما كلمة شهيد فإنها أصبحت تثير للمساءلة، وقد وصل الأمر إلي حد تصدي رئيس الولايات المتحدة بنفسه ومطالبته الدول العربية في تصريح علني ألا تمنح أولئك الشبان والفتيات البواسل شرف الشهادة وتعميمه فتوي علي الكافة تقرر انهم انتحاريون لم يغفر للدكتور غازي القصيبي الشاعر والسفير السعودي وليسوا شهداء! الشهداء) نشرت في منتصف أبريل الماضي) في لندن انه نظم قصيدة باسم الأخرس(18 سنة) من مخيم وأثنى فيها علي الشابة الفلسطينية آيات الغربية، لم يقبل الدهيشة التي نفذت عملية استشهادية في سوق القدس للاستيضاح منه منه هذا التصرف، فاستدعي إلي وزارة الخارجية البريطانية عما عناه في قصيدته، وقال ناطق رسمي باسم الخارجية أننا نتعامل مع العمليات الانتحارية علي إنها شكل من أشكال الإرهاب، ونريد توضيح موقفنا للسفير. لا غرابة في ذلك، فحين يصرون علي حذف أبواب الجهاد من مقومات الإسلامية، ويدعون إلي عدم ترديد الآيات القرآنية التي تفضح الثقافة إسرائيل، ويطالبون بإسقاط اسم صلاح الدين ودوره في تحرير ممارسات بني حين يفعلون ذلك ولا يردون أو يردعون فينبغي ألا القدس من كتب التاريخ، او نكتب، ويطالبوننا باستخدام مفردات نفاجهم وهم يدققون فيما نتفوه به السياسي. ومصطلحات بذاتها، مما يروجون له في خطابهم

التحقيقات الرئيسي في مكتب
الفيدرالي إف. بي. آي. ، على عكس
سي. آي. إيه ، التي طلبت منها
الف يورو مقابل مجموعة حوالي 36
من الوثائق .

الكونجرس
الأمريكي نصب
نفسه حاميا
لإسرائيل
والعرب فشلوا
في حماية
الفلسطينيين

أمريكا تشن
حرب منظمة
لغسل الذمعة
الشعوب العربية
وتحسين
صورتها القبيحة

(3)

المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة تخوض الآن معركة شرسة ضد بعض الصحف الأمريكية بهذا الخصوص، وتستخدم العديد من الوسائل وتمارس كل ماتملك من ضغوط لإجبار تلك الصحف علي استخدام لغة معادية للفلسطينيين، تصف الفدائيين مثلا بأنهم إرهابيون وتعتبر الضفة الغربية أرضا متنازعا عليها وليست أرضا محتلة، وتصنف الاجتياح الإسرائيلي، للضفة بحسبانه دفاعا عن أمن إسرائيل وملاحقة للإرهابيين.. وهكذا! ورغم أن الاعلام الأمريكي في مجمله تحت الهيمنة الصهيونية القوية، إلا أن الفطائع التي جرت في الضفة الغربية مؤخرا لم يكن ممكنا التستر او المداراة عليها بالكامل، وإزاء انفصاح الأمر عبر الفضائيات وعلى شبكات الإنترنت، فان بعض الصحف الأمريكية أدركت ان سكوتها علي ما يجري أو التستر عليه يفقدها مصداقيتها، ناهيك عن ان حجم الجرائم أصبح اكبر مما يمكن إخفاؤه، إزاء ذلك فقد وجدت تلك الصحف نفسها مضطرة إلي تسجيل بعض جوانب الحقيقة، ورغم ان ذلك البعض كان شديد التواضع وعند الحد الأدنى من الحياد، إلا أنه أثار تأثرة المنظمات الصهيونية والموالية لإسرائيل، التي شنت علي الصحف حملة ترهيب شعواء، واتهمتها بممالأة الإرهاب والتحيز لصالح الفلسطينيين. في هذا الصدد بثت وكالة الأنباء الفرنسية في 25/4 تقريرا قالت فيه أن مجموعة من النشطاء السياسيين اليهود في مدينة بوسطن بولاية ماساشوسيتس قاموا بحملة شعبية واسعة، للتأثير علي الصحف والصحفيين لمنعهم من اتخاذ مواقف حيادية من الصراع الاسرائيلي - الفلسطيني تحت عنوان مكافحة التحيز لصالح الفلسطينيين! وأعلنت هذه المجموعة يوم الاربعاء أول مايو يوما أمريكيا فيدراليا لمحاربة هؤلاء الصحفيين، ويتم فيه التركيز علي مقاطعة صحيفة نيويورك تايمز بالذات لكونها تشهد تحولا خطيرا لصالح الفلسطينيين وبنوون دفع المشتركين في الصحيفة إلي الاتصال بإدارتها في هذا اليوم والاعلان عن قطع الاشتراك فيها إلي الأبد أو لمدة شهر واحد علي الأقل، ويقولون إنهم يطمحون للوصول إلي 100 ألف اتصال كهذا، حتي ترتدع الصحيفة وتدرك خطورة أفعالها. ذكر تقرير الوكالة الفرنسية أن نشاط هؤلاء اليهود يأتي ضمن حملة اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة للترويج للموقف الإسرائيلي الرسمي، وهو ليس بعيدا عن التنسيق مع ممثلين رسميين لحكومة إرييل شارون وحزبه، وفي إطاره برصدون وسائل الاعلام الأمريكية كلها، ويسجلون كل جملة تقال ضد إسرائيل وممارستها العدوانية ضد الشعب الفلسطيني وقيادته،

ويقومون بجمعها في موقع خاص في الإنترنت ويرسلونها إلي ملايين المواقع تحت عنوان: أقوال تخدم الإرهاب ويدعون قراءهم إلي عمل شيء سلمي ضد أصحاب تلك الأقوال ووسائل الإعلام التي تنشرها ويطلبون ولو رسالة احتجاج واحدة بل ينشرون نسا موحدا لهذا الاحتجاج بحيث لايشعر القاريء أنه يحتاج إلي بذل أي جهد لكي يعبر عن احتجاجه: ما عليك إلا أن تضغط هنا، حتي تصل رسالتك إلي عنوانها!

(4)

لم أكن أعرف ان اليهود الأمريكيين أنشأوا في أمريكا مؤسسة باسم التصحيح الإعلامي وهي واحدة من مؤسسات أخرى كثيرة تقوم بمهمة مراجعة محتويات الصحف وكل وسائل البث، ورصد ما فيها من معلومات أو اشارات تتجاوز ما تعتبره خطوطا حمراء في تغطية الاخبار والتقارير المتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي، وبطبيعة الحال فان اي تعبير لايتبني الموقف الإسرائيلي أو ان يشك في حياده يعد تجاوزا لتلك الخطوط، ويستتبع بالتالي إدراج الكاتب أو الصحيفة في قوائم سوداء تمهيدا لابتزاز وتهديد أي منهما في 30/4 نشرت الشرق الأوسط أنه في لوس انجليس أوقف ألف شخص اشتراكاتهم في صحيفة لوس انجليس تايمز لمدة يوم احتجاجا علي ما اعتبروه تغطية غير دقيقة منحازة للجانب الفلسطيني وفي نيويورك ناشد الكثير من أعضاء الجالية

اليهودية القراء بمقاطعة صحيفة نيويورك تايمز أما في مينا بوليس, فقد اشترت منظمة تدعى سكان مينيسوتا المناهضون للإرهاب صفحة كاملة في صحيفة ستار تريبيون اتهمت عبرها الصحيفة برفض إطلاق تسمية إرهابي علي الفدائيين الفلسطينيين. وقال مايكل جيتلار, محقق الشكاوي في صحيفة واشنطن بوست أنه ظل يتسلم خلال الأيام الأخيرة ما يزيد علي مائة مكالمة ورسالة بريد إلكتروني في اليوم يتهم معظمها الصحيفة بإجراء تغطية منحازة إلي الفلسطينيين, ومناوئة لإسرائيل, أما نيد ووريك, محرر الشؤون الخارجية بصحيفة فيلادلفيا انكويارر فقد ذكر أن الصحيفة تعرضت خلال الفترة الأخيرة ل سيل من الانتقادات من الجالية اليهودية المحلية, وقال انه ظل يتسلم ما بين 100 و120 رسالة بريد إلكتروني يوميا في فيما يبدو أنه حملة دقيقة الترتيب ومتواصلة. أما ضغوط اللوبي الصهيوني علي واشنطن بوست فان الصحيفة أوفدت مندوبا خاصا إلي إسرائيل, جلين فرانكليل, ونشرت علي صفحتها الأولى تقريرين اخباريين عن آثار الهجمات الفدائية علي الإسرائيليين, لكي توازن بهما مانشرته الصحيفة, ذاتها عن الجرائم الإسرائيلية في جنين وبقية مدن الضفة الغربية, ومع ذلك فان ذلك لم يغفر لها ما اقترفته حين تحدثت عن حقيقة مايجري في جنين, وظلت تتلقي يوميا مئات الرسائل الإلكترونية الناقدة لها, التي ذهب بعضها إلي حد اتهام محرريها بالعداء للسامية. من مفارقات المشهد وتداعياته أن بعض السفراء العرب في واشنطن أعدوا بيانا شرحوا فيه رؤيتهم للقضية العربية, واتفقوا علي نشره كاعلان مدفوع الأجر في احدي الصحف الأمريكية الكبرى, غير أن الصحيفة عجزت عن نشره, وأعادته في اليوم التالي إلي ممثل السفراء العرب, قائلة أن اللوبي الصهيوني علم بالأمر, وهدد - في حالة النشر - بسحب إعلانات من الصحيفة تفوق حصيلتها عشرات المرات قيمة صفحة إعلان السفراء العرب, قرأت الخبر في صحيفة القدس العربي التي أشارت إلي الواقعة دون تبيان اسم الصحيفة أو مضمون الإعلان. (5) أثناء الاجتياح الإسرائيلي لمدن وبلدان الضفة الغربية, قامت شركة ميكروسوفت العالمية لإعداد برامج الكمبيوتر بحملة إعلانية في مختلف المدن الإسرائيلية, وتل أبيب في مقدمتها, حيث علقت لافتات كبيرة كُتبت عليها بالبنط العريض, عبارة تقول: شكرا لقوات الأمن الإسرائيلية! - أثار الإعلان الناشطين العرب في مناطق 48 وبعض الناشطين في حركة السلام الإسرائيلية, الذين دعوا إلي إزالة اللافتات المؤيدة للقتل بدم بارد, وقالوا في بيان أصدره إن اللافتات بمثابة دعاية رخيصة وإعلان تأييد حرب الاحتلال التي يقودها شارون. لم يكن لتصرف شركة ميكروسوفت المعادي للفلسطينيين أي صدي في العالم العربي والإسلامي التي تروج فيه منتجاتها, وهذا الصمت ظل العالم العربي ملتزما به حين اتهم رئيس وزراء الهند فاجبابي العالم الاسلامي مؤخرا بالازدواجية, وحين تحدث وزير خارجية المانيا يوشكا فيشر عن الاسلام باستياء وضجر وشكك في قدرته علي التطور, وحين لم تر مارجریت ناتشر رئيسة وزراء بريطانيا في الإسلام إلا أنه مصدر للإرهاب وفاشية جديدة.. وحين.. إلخ. انهم يحاسبون شاعرا عربيا علي كلمة قالها في امتداح فتاة فجرت نفسها فيمن أذل الفلسطينيين, واغتصب أرضهم, ويلاحقون كل صاحب قلم في الولايات المتحدة اذا عن له مرة أن يكون منصفًا, لكننا نغض الطرف عن الكثير الكثير مما ينال من عقيدتنا ويزدري بها, فضلا عن أولئك الذين لا يملون من تحقير العرب والمسلمين وإثارة البغضاء والكرهية من حولهم. لست أوم الذين يثابرون ويستنفرون للدفاع عن مصالحهم أو حتي باطلهم, فهم يقومون بما عليهم تجاه أنفسهم, لكن من يستحق اللوم حقا هو من يفرط في حقه ويتقاعس عن الدفاع عنه, ويضن علي أمته باسهم متواضع يدفع عنها بعضا من الشرور التي تستهدفها, إذ بأي معيار ينبغي ألا يستوي الذين يعملون بالذين لا يعملون, ولا المتأبرون والقاعدون.